

دراسات محكمة

تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب  
والانعكاسات  
إقليم سطات نموذجا

عبد الغني بوقطب وفاطمة الزهراء واستار عبد المجيد  
السامي

جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

23 مارس 2022

# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



## الملخص:

يشهد القطاع الأول بالمغرب دينامية كبيرة، نتج عنها تحولات على مستوى الممارسات والاختيارات المتخذة من طرف الفلاح المغربي؛ تتمثل بعض هذه الاختيارات في تخلي فئة مهمة منهم عن أنماط زراعية تقليدية معروفة بمنافعها الاقتصادية الهامة وأدوارها البيئية المحافظة خلال الدورة الزراعية، لصالح زراعات أخرى أكثر ربحية وأقل جهدا. تشكل القطنية الزراعة الأكبر تضررا ضمن بنية الإنتاج الزراعي المغربي، ولعل تحول البلاد من أكبر مصدري أصناف القطنية حتى حدود سبعينيات القرن الماضي إلى مستورد لها ابتداء من التسعينات إلى اليوم، لدليل قوي على ما تعيشه هذه الزراعة من أزمة غير معلنه، تستحق الدراسة حتى يمكن فهم حيثياتها وتحليل عواملها وآثارها، عوض الاقتصار فقط - كما هو الحال في تقارير الوزارة الوصية - على إحصائيات الإنتاج ومساحة الأراضي المزروعة الخاصة بهذا النمط الزراعي.

انطلقت الدراسة الميدانية للموضوع من وصف وضعيت الإنتاج الوطني من القطنية ورصد مؤشرات تطوره خلال السنوات الماضية، ومن تم تصغير مجال الدراسة (إقليم سطات) أثناء مرحلة التفسير والتحليل والعمل الميداني. وبالاعتماد على مقابلة مهندسين زراعيين وفلاحين ومسؤولين بالمندوبية الإقليمية للفلاحة بسطات، إضافة إلى تحليل مجموعة من المعطيات الإحصائية المحصل عليها من مؤسسات وطنية رسمية، تبين أن تراجع القطنية بالمغرب له ارتباط رئيسي بالعامل المناخي، حيث أن أغلبية القطنية هي قطنية مطرية. لكن المناخ وحده لا يفسر تقهقر هذه الزراعة، بل توجد عوامل أخرى لا تقل أهمية عنه، لها دور مهم في رسم المنحنى السلبي للقطنية المغربية وعلى رأسها: ضعف المكننة، جاذبية زراعات أكثر ربحية، تزايد خطر الأمراض وارتفاع كلفة الإنتاج (اليد العاملة، البذور، الأسمدة والمحروقات...) في ظل شبه استقرار في ثمن المنتج.

الكلمات المفتاحية: زراعة القطنية؛ التراجع؛ الدورة الزراعية؛ المغرب؛ إقليم سطات.

## Abstract:

Morocco's first sector is experiencing great dynamism, which has resulted in changes in the level of practices and choices made by the Moroccan farmer. Some of these choices are the abandonment of traditional agricultural patterns by an important group known for their important economic benefits and conservation environmental roles during the agricultural cycle, in favor of other more profitable and less effort crops. Pulses cultivation is the most affected agriculture in the Moroccan agricultural production structure. Perhaps the country has been transformed from the largest exporter of pulses varieties to the borders of the 1970s into an importer from the 1990s to today, is a powerful demonstration of the undisclosed crisis of agriculture, which deserves study so that it is possible to understand its causes and analyze its factors and effects, instead of limiting only - as in the Ministry's guardian reports - to production statistics and the area of cultivated land of this agricultural pattern.

The field study of the topic started from describing the state of the national production of pulses and monitoring indicators of its development during the past years, the field of study (Settat Province) was reduced during the interpretation, analysis and fieldwork phase, and relying on an interview with agricultural engineers, peasants and officials at the regional delegation of agriculture in Settat, as well as an analysis of a range of statistical data obtained from official national institutions, It turns out that the decline of the legume in Morocco is mainly related to the climatic factor, as the majority of the legume are rain-fed. However, the climate alone does not explain the regression of this agriculture. There are other factors that are as important as it is. Poor mechanization, the

# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



attractiveness of more profitable agriculture, the increased risk of disease and the high cost of production (labour, seeds, fertilizers and fuels). With near - stability in the price of the product.

**keywords:** legume cultivation; backing down; crop rotation; Morocco; Settat province.



# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا

## مقدمة:

تشكل الأرض الزراعية مصدرا رئيسيا لتوفير حاجيات الانسان الغذائية المتنوعة، فهي بشكل عام الحاضنة لمختلف الأنشطة البشرية سواء الزراعية أو الصناعية أو العمرانية وغيرها، والتي تعتبر أيضا من مصادر الدخل، وبالتالي فإن قدرة الانسان على تحقيق العيش الكريم لا تنفصل أبدا عن ارتباطه الوثيق بالأرض وبضرورة الحفاظ على استدامتها خدمة لمصالح الانسان الحالية والمستقبلية. لكن تحقيق هذه الغاية يصطدم بقوة التطورات المتسارعة التي كشفت عن اتجاهات غير محافظة همها الرئيسي تحقيق الربح بغض النظر عما قد تخلقه من ضرر على الموارد الطبيعية وخاصة الترابية منها. وتعد الدورة الزراعية<sup>1</sup> من بين الاختيارات المحافظة التي بدأت تندثر في الأونة الأخيرة، نتيجة تراجع منسوب الثقة في بعض المنتوجات الفلاحية المعتمدة في التناوب الزراعي وسيادة ثقافة الربح الذي لا يراعي البعد البيئي الضامن لاستدامة الموارد الطبيعية الزراعية.

وضمن هذا الإطار، الذي يحاول رصد تراجع الزراعات المعتمدة في الدورة الزراعية، عرفت زراعة القطن في المغرب تراجعاً كبيراً خلال السنوات الأخيرة، سواء على مستوى المساحة المزروعة أو الإنتاجية، إذ انتقل إنتاج البلاد من 5 مليون قنطار سنة 1960 إلى 2.4 قنطار حالياً، كما تحول من بلد مصدر للقطن إلى مستورد لها بحجم واردات يصل إلى 350 ألف قنطار، وتقلصت المساحة المخصصة لهذه الزراعة إلى 168 ألف هكتار خلال الموسم 2020-،<sup>2</sup> بعدما كان متوسط مساحة القطن الغذائية ما بين 1988 إلى 1992 يصل ل 470 ألف هكتار.<sup>3</sup> وقد تدخل في إنتاج هذه الوضعية السلبية مجموعة من العوامل، ينسجم بعضها مع الأسباب العامة لتدهور القطاع الفلاحي بالمغرب، في حين نفترض أن بعضها الآخر يكمن في أسباب خاصة؛ ترتبط بخصوصيات قطاع القطن المختلفة في بعض شروط ومسارات إنتاجها عن قطاع إنتاج الحبوب والخضروات.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مختلف العناصر المؤثرة والفاعلة في تراجع زراعة القطن بالمغرب، مع رصد الآثار المترتبة عن هذا التطور وخاصة البيئية منها، حيث سننطلق في هذه الورقة البحثية بشكل استنباطي، بتعمق في مظاهر تدهور هذه الزراعة وطنياً ليصل إلى دراسة حالة إقليم سطات، من خلال إبراز وضعية قطاع القطن به، ورصد مختلف العوامل المساهمة في تطور إنتاجه، والتركيز في الأخير على الانعكاسات البيئية المرتبطة بالموضوع المدروس.

## 1. إشكالية الدراسة

حقق البرنامج الوطني المخطط الأخضر نتائج مهمة على عدة مستويات؛ كجذب الاستثمارات لفائدة القطاع الفلاحي وتعبئة الاستثمارات الفلاحية والمساهمة في الرفع من الناتج الفلاحي المحلي بنسبة 5.25% مقابل 3.8% بالنسبة للقطاعات الأخرى.<sup>4</sup> بالإضافة إلى توفير مناصب شغل إضافية بفضل توسع المساحات المزروعة وتنوع المحاصيل وتحسين الإنتاج. بالمقابل وخلال فترته، لم تحقق بعض الزراعات أي تطور ملموس، بل بالعكس من ذلك استمرت في انتكاسها، وخاصة منها زراعة القطن، التي سجلت تراجعاً جدياً واضحة سواء على مستوى الإنتاج أو على مستوى المساحة المخصصة لها، إذ انتقل محصول البلاد من 5

<sup>1</sup> هي تناوب محاصيل مختلفة على قطعة أرض واحدة. وتعتبر الدورات الزراعية من العناصر الهامة في زيادة الإنتاج وتحسين خصوبة التربة كما تعتبر إحدى مميزات الزراعة الحديثة وإن كان السابقون قد طبقوا مبادئها تطبيقاً عملياً دون معرفة حقيقة هذه المبادئ. وتعتمد على زراعة الأرض بأكثر من محصول في نفس العام. مثلاً زراعتها بنوع معين من المحاصيل ثم بعد جنيها زراعتها بنوع آخر من المحاصيل. وهذه العملية تفيد في عدم نفاذ المعادن والعناصر الموجودة في التربة لأنه عند زراعة الأرض بنفس المحصول طوال العام يؤدي ذلك إلى استهلاك المعادن والعناصر التي يحتاجها هذا العنصر وبالتالي نفاذها من التربة ولكن عند استخدام تدوير المحاصيل أو الدورة الزراعية يمكن الأرض من استعادة العناصر والمعادن الموجودة في التربة.

<sup>2</sup> وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، (2021)، بلاغ ورد في وكالة لمغرب العربي للأنباء، في الرابط الإلكتروني: <https://mapecology.ma/ar/slider-ar>، تاريخ الزيارة 2022-02-08.

<sup>3</sup> Hassan El Baghati, (1995), La production des légumineuses alimentaires au Maroc, Revue Al Awamia, 89, INRA, p 79.  
<sup>4</sup> وكالة التنمية الفلاحية، (2015)، وردت المعطيات في الرابط الإلكتروني: <https://www.ada.gov.ma/ar>، تاريخ الزيارة 2022-02-15.



# تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا

مليون قنطار قبل أربعين سنة إلى أقل من 3 مليون قنطار في الأعوام الأخيرة، وانتقل معدل المساحة المزروعة من أكثر من 400 ألف هكتار موسم 1992-1993 إلى 126 ألف هكتار موسم 2020-2021، لتتحول البلاد من مصدر للقطني إلى مستورد لها. لا يمكن عزل تراجع إنتاج زراعة القطني عن العامل المناخي الحاضر بقوة كمؤثر في المشهد الزراعي المغربي، إذ ترتبط المجالات شبه الجافة بالتساقطات المطرية. كما لا يمكن فصله عن اختيارات الفلاحين والتحول السلوكي في اتخاذ قراراتهم التي غالبا ما تبني على أسس اقتصاد السوق والريح وتفاذي المخاطرة.

وترتبطا على ما سلف نعتبر هذا التراجع مرتبط بسيادة بيئة مناخية غير مستقرة، وغير مساعدة على اعتماد زراعة القطني المطرية. يكرس هذا الوضع أساليب تقنية تقليدية ضعيفة المكننة ومتطلبات مادية مرتفعة (كلفة اليد العاملة، المحروقات، الأسمدة...) وانجذاب الفلاحين نحو زراعات أكثر ربحية وأقل مخاطرة.

يطرح تراجع زراعة القطني بالمغرب إشكالات اقتصادية وبيئية؛ تتمثل الأولى في تقلص فرص الشغل وتزايد الاعتماد على القطني الأجنبية، في حين تتعلق الثانية بالتداعيات البيئية الناتجة عن تخلي الفلاح المغربي عن زراعة القطني المهمة في عملية التدوير الزراعي.

## 2. هدف الدراسة وفرضياتها

يهدف المقال إلى إبراز مظاهر وأسباب تراجع زراعة القطني بالمغرب، ومعرفة تأثير ذلك على الموارد الترابية. وسنعمد على فرضيات قابلة للاختبار بواسطة معطيات ومقاييس محددة، وهي كالتالي:

- الفرضية الأولى: يوجد ارتباط قوي بين إنتاج القطني والنظام المطري.
- الفرضية الثانية: يساهم ضعف المكننة وقلة اليد العاملة وغلائها في تراجع زراعة القطني.
- الفرضية الثالثة: يؤثر تراجع اعتماد زراعة القطني على خصوبة التربة.

## 3. منهجية الدراسة وأدواتها

تتطلب دراسة مثل هذه الإشكاليات توظيف مجموعة من طرق التفكير المنظمة مع استعمال أدوات التحقق بغاية جعل الدراسة تبتعد عن العموميات والأحكام الجاهزة، لهذا تم الانطلاق من العام إلى الخاص (المنهج الاستنباطي)، حيث شرعنا في رصد مظاهر تراجع إنتاج القطني وطنيا ثم الانتقال إلى مجال إقليمي (إقليم سطات). وقد اختلفت أدوات المعالجة الإحصائية في هذه الدراسة: توظيف المنهج الإحصائي باعتماد مؤشرات وإحصائيات متعددة، كان مصدرها مؤسسات وطنية رسمية، من أبرزها: وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، المندوبية السامية للتخطيط عبر مندوبيتها بإقليم سطات، المعهد الوطني للبحث الزراعي، المندوبية الإقليمية للفلاحة بساتات والمكتب الوطني للحبوب...

-كان للمقابلات التي أجريت مع الفاعلين المتدخلين في تسيير شؤون القطاع الفلاحي بإقليم سطات، دورا هاما في نشوء فكرة الدراسة، وجمع رصيد مهم من المعطيات التي بينت أهمية دراسة الموضوع، نظرا لآثاره المتعددة على الموارد الطبيعية. وشملت هذه المقابلات المهندس الزراعي أحمد بنتيقة الموظف بعمالة إقليم سطات، إضافة إلى مجموعة من الفلاحين بكل من جماعتي سيدي العايدي وكدانة التابعتين للإقليم.

-ركز البحث الميداني على استقصاء مجموعة من الفلاحين (100 فلاح) بجماعتي كدانة وسيدي العايدي خلال الموسم الفلاحي 2019-2020.

## 4. مؤشرات تراجع مستمر في إنتاج القطني بالمغرب

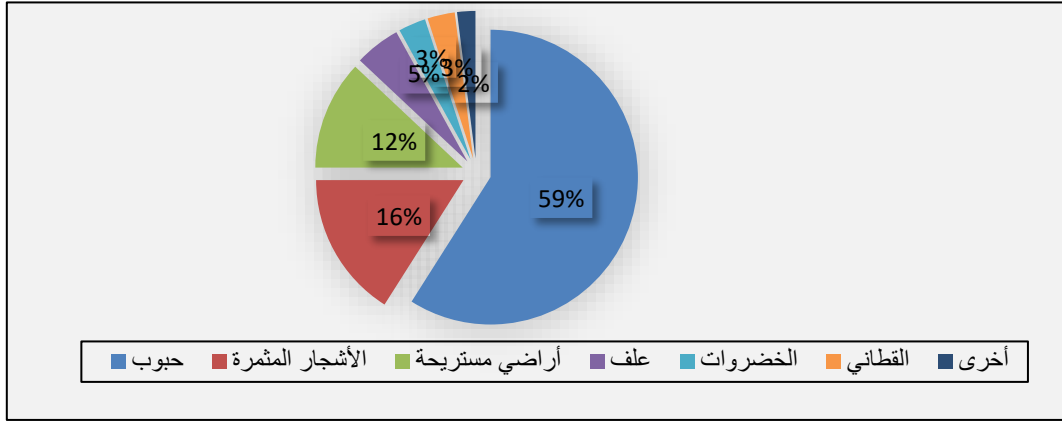
يستهلك المغاربة هذا المنتج الفلاحي بالخصوص في موسم البرد، حيث يتزايد عليه الإقبال خاصة مع تحسن القدرة الشرائية، وتجدد الاهتمام بالأطباق التقليدية التي تعتمد كثيرا على هذه المادة، لكن تزايد الطلب نسبيا على هذه الأخيرة قابله تراجع مهم في العرض المنتج محليا؛ ومن مظاهر هذا التراجع تقلص المساحات الزراعية المخصصة لإنتاج أنواع القطني، فرغم سمة التذبذب

# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



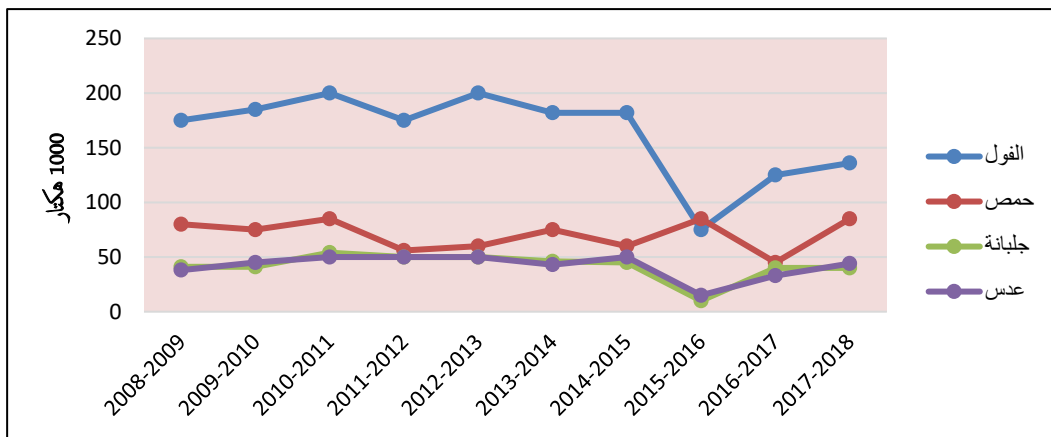
وعدم الاستقرار في مساحة الأراضي المزروعة سنويا، فإنها أخذت في التقلص والانكماش كمنحى عام يصعب من قدرة المغرب على تلبية حاجياته المحلية ويكسر فتح الباب أمام الاستيراد الذي انطلق منذ تسعينات القرن الماضي.

الشكل رقم 1: توزيع المساحة الصالحة للزراعة بالمغرب حسب الاستغلال



المصدر: وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، مديرية التخطيط والاحصاء، 2021 وتناهن نسبة الأراضي التي تستغل في زراعة القطن 3% من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة بالمغرب، وهي مساحة ضئيلة وأخذت في التراجع سنويا، ويسيطر إنتاج الفول على أكثر من نصف هذه الأراضي، بمعدل يتجاوز 160 ألف هكتار إلى حدود الموسم الفلاحي 2014-2015، لكنها شهدت تراجعا واضحا ابتداء من الموسم الفلاحي 2015-2016، لتنزل إلى معدل أقل من 140 ألف هكتار. مسلسل تراجع إنتاج الفول في السنوات الأخيرة قرّبه من معدل المساحات الزراعية المخصصة لإنتاج الحمص، البازلاء (جلبانة) والعدس، والتي تقل مساحة زراعتها عن 100 ألف هكتار بالنسبة للحمص، و50 ألف هكتار لكل من العدس والجلبانة.

الشكل رقم 2: تطور مساحة الأراضي المخصصة لزراعة القطن بالمغرب في الفترة 2008-2018

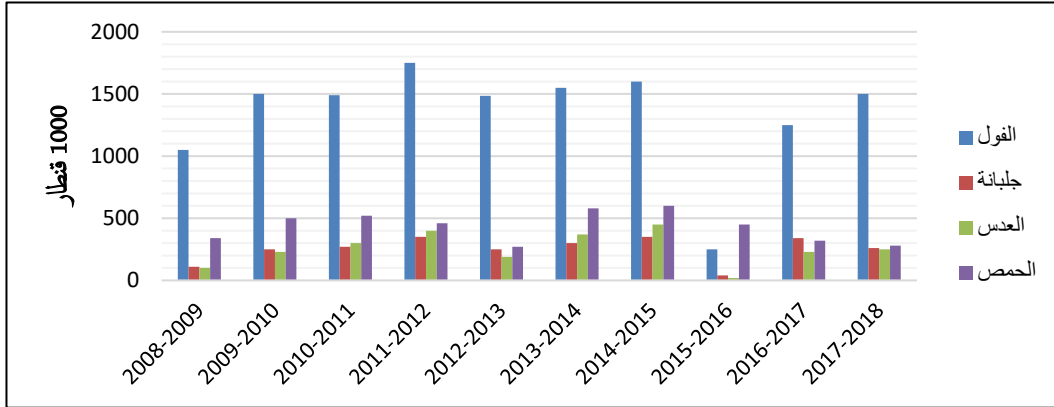


المصدر: وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، الفلاحة في أرقام، طبعة 2019 رافق تقلص المساحات الزراعية المخصصة لزراعة القطن، نتيجة حتمية تجلت في تأرجح الإنتاج بين الاستقرار والتراجع، ويشكل الموسم الفلاحي 2015-2016 أكثر المواسم التي شهدت تقلصا ملفتا سواء على مستوى المساحة أو الإنتاجية، في حين سجلت باقي السنوات تذبذبا ذو نزعة تراجعية.

# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



الشكل رقم 3: تطور إنتاج القطن بالمغرب في الفترة 2008-2018



المصدر: وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، الفلاحة في أرقام، طبعة 2019

فحسب أحد بلاغات وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات حول توقعات الموسم الفلاحي 2020-2021؛ الصادر بتاريخ 15-01-2021، تحتل زراعة القطن فقط 168 ألف هكتار، 6 في المائة منها مسقية. وتتمثل الأصناف الرئيسية المزروعة في الفول (57 في المائة)، الجلبانة (20 في المائة)، العدس (20 في المائة)، اللوبيا (11 في المائة) وغيرها (3 في المائة). ويستخلص تبعا لهذه المعطيات الرسمية، المنحى السلبي التي تعيشه زراعة القطن بالمغرب، فرغم البرامج الرسمية المتخذة في السنين الأخيرة لخلق إقلاع حقيقي للقطاع الفلاحي، لم يستطع المغرب استعادة مكانته على مستوى إنتاج القطن، والتي كانت مزدهرة حتى سبعينيات القرن الماضي، ليصبح اليوم مستوردا لها (جدول رقم 1)، حيث نلاحظ تطورا ذا نزعة إيجابية لمستورادات المغرب من مختلف أصناف القطن، والتي انتقلت وارداتها من 198 ألف قنطار موسم 2008-2009 إلى 1355 ألف قنطار موسم 2020-2021، ويظهر كذلك أن العدس هو المنتج الأكثر استيرادا خاصة في موسم 2016-2017، حيث تزايدت بقوة معدلات دخول المنتج الأجنبي منه للمغرب، لتصل خلال الموسم 2020-2021 إلى 680 ألف قنطار.

الجدول رقم 1: تطور كمية استيراد القطن بالمغرب ما بين 2008 و2020 بالألف قنطار

الأصناف الرئيسية	فول	جلبانة	عدس	حمص	فاصوليا	المجموع
2020-2021	336	161	680	76	102	1355
2019-2020	71	82	553	16	96	817
2018-2019	1	65	262	120	90	538
2017-2018	186	67	327	22	69	671
2016-2017	282	44	308	1	3	639
2015-2016	-	13	79	-	29	121
2014-2015	1	28	36	-	58	123
2013-2014	5	25	48	4	4	86
2012-2013	7	3	52	21	32	115
2011-2012	2	6	54	2	59	124



# تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



106	31	-	59	8	8	2010-2011
158	51	-	82	12	14	2009-2010
198	14	1	171	3	9	2008-2009

المصدر: المكتب الوطني المهني للحبوب والقطني

عموما، تظل مؤشرات تراجع إنتاج القطني بالمغرب جد واضحة، وهي تخدم القطني الأجنبية التي أضحي يعول عليها لسد العجز الداخلي، مما يفترض مبدئيا توفر عوامل قوية تعيق نهضة هذه الزراعة بالمغرب. فما هي إذن هذه العوامل المساهمة في تقهقر هذا المحصول الزراعي؟

وسنحاول الإجابة عن هذا السؤال بدراسة أسباب تراجع زراعة القطني بإقليم سطات كنموذج لدراسة هذا الموضوع.

## 5. أسباب تراجع زراعة القطني بإقليم سطات

### 1.5. موجز عن الخصائص العامة للإقليم

قبل البدء في الكشف عن حيثيات انكماش زراعة القطني بإقليم سطات كنموذج إقليمي يعبر عن الوضعية الوطنية، سنقدم بعض الخصائص الطبيعية والبشرية المميزة لهذا الإقليم. فهو ينتهي إلى السهول والهضاب الأطلننتية التي تعرف بسهول وهضاب الشاوية،<sup>5</sup> ويتكون من هضاب منضدية و متموجة، أهمها هضاب سطات وابن أحمد التي تمتد على طول منحى الارتفاع المتساوي 300م، وتسود بها انحدارات تتراوح ما بين 5 و10%، وهضبة بني مسكين التي تعد جزء من هضبة الفوسفات المنبسطة. وقد اكتسب الإقليم هذه الخصائص عبر مختلف المراحل الجيولوجية، حيث عرفت التكتونية الالتوائية خلال الحركات الهرسينية في نهاية الزمن الجيولوجي الأول، وتمت تسويتها بعد ذلك قبل وأثناء الترياس، ثم بقيت مستقرة منذ ذلك الوقت، بحيث لم تعرف التقبب في بعض أجزائها التي أصبحت عرضة للتعرية؛ بينما استقبلت أجزاؤها المتهدلة ببطء رواسب وتوضعات، بعضها بحري ينتمي للليوسين، وبعضها قاري ينتمي للرباعي. وساهمت هذه الرواسب في إغنائه على الخصوص بالمادة الدقيقة التي تكون أساس الغطاء الترابي.<sup>6</sup> ويسود بالإقليم أيضا مناخ شبه جاف إلى جاف مع انخفاض لهطول الأمطار من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب، حيث لا يتجاوز معدل الأمطار 300 ملم في السنة.<sup>7</sup>

<sup>5</sup> محمد الأسعد (2012) اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي-زراعية بالبيئات شبه جافة بالمغرب دراسة في الإيكولوجيا الثقافية. منشورات مؤسسة دكالة عبدة للثقافة والتنمية، ص 30.

<sup>6</sup> رابحة صالح (1991)، بعض المظاهر المورفولوجية في منطقة الشاوية، تنمية الأنظمة الريفية للشاوية وقضايا منهجية حول المجال الريفي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك الدار البيضاء، ص 32-34.

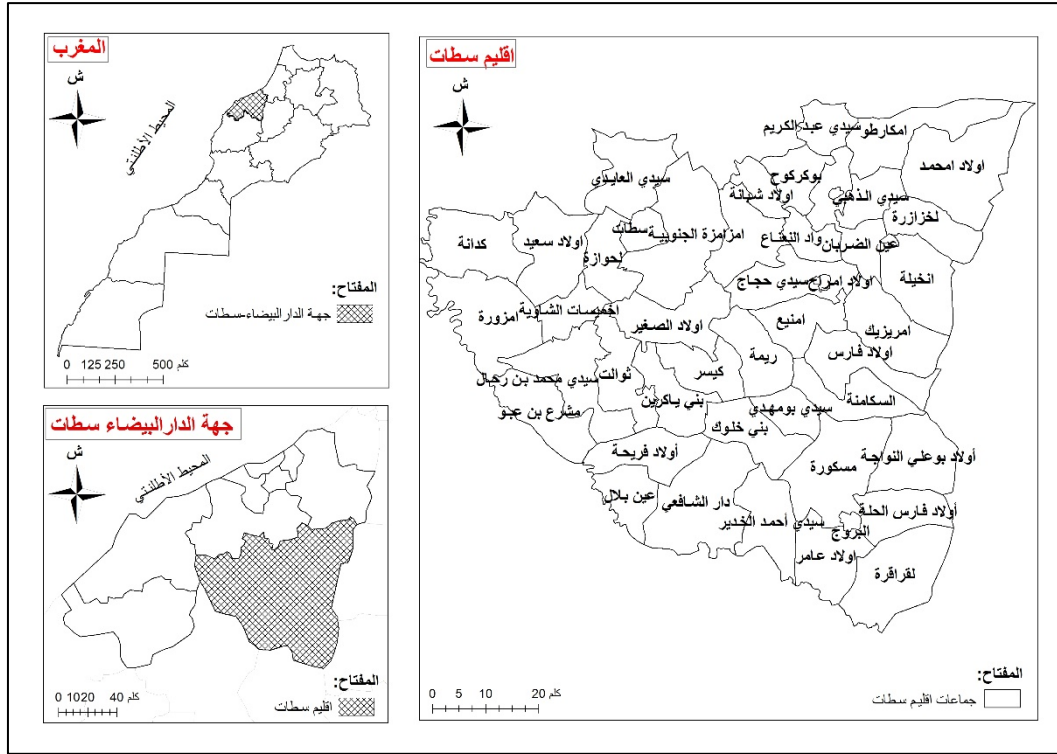
<sup>7</sup> منوغرافية إقليم سطات لسنة (2015)، ص 5.



# تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



الخريطة رقم 1: خريطة توطين مجال الدراسة



المصدر: التقسيم الجهوي لسنة 2015

تبلغ مساحة الأراضي الصالحة للزراعة 423.800 هكتار، أي 59% من إجمالي مساحة الإقليم التي تصل إلى 723.100 هكتار<sup>8</sup>. وتهيمن الزراعة البورية على الاستغلاليات الزراعية مشكلة ما نسبته 96%، في حين تتوزع ملكية الأراضي الفلاحية ما بين ملك خاص بما نسبته 73% وأراضي جماعية ب 25%، وتشكل الاستغلاليات الصغيرة (أقل من 5 هكتار) 70% من مجموع الاستغلاليات.<sup>9</sup> أما ساكنته فتصل حسب إحصاء 2014 إلى 634.184 نسمة، يعيش منها 194.979 نسمة في المجال الحضري، بينما يستقر ما مجموعه 424.840 نسمة بالمجال القروي. وتتوزع هذه الساكنة على 3 دوائر؛ سطات، بني أحمد ولبروج، وتضم 41 جماعة قروية و5 جماعات حضرية.<sup>10</sup>

## 2.5. وضعية إنتاج القطني بالإقليم

تتركز زراعة القطني (البقوليات) في المغرب بشكل رئيسي في مناطق سايس والريف والغرب والشاوية، وتشهد انكماشاً في جل هذه المناطق وبالأخص في الشاوية العليا المعروفة إدارياً بإقليم سطات، وذلك لسيادة القطني المطرية وغياب القطني المسقية منها. ومظاهر هذا الانكماش تتجلى أولاً في تراجع مساحة القطني المزروعة بالإقليم (الشكل رقم 4)، حيث كانت المساحة المزروعة في الموسم 2008-2009 تزيد عن 34 ألف هكتار، وانتقلت في الموسم 2015-2016 إلى 3400 هكتار فقط، لترتفع في الموسم الموالي إلى 19 ألف هكتار.

<sup>8</sup> المنوغرافية الإقليمية سطات (2013)، ص 9.

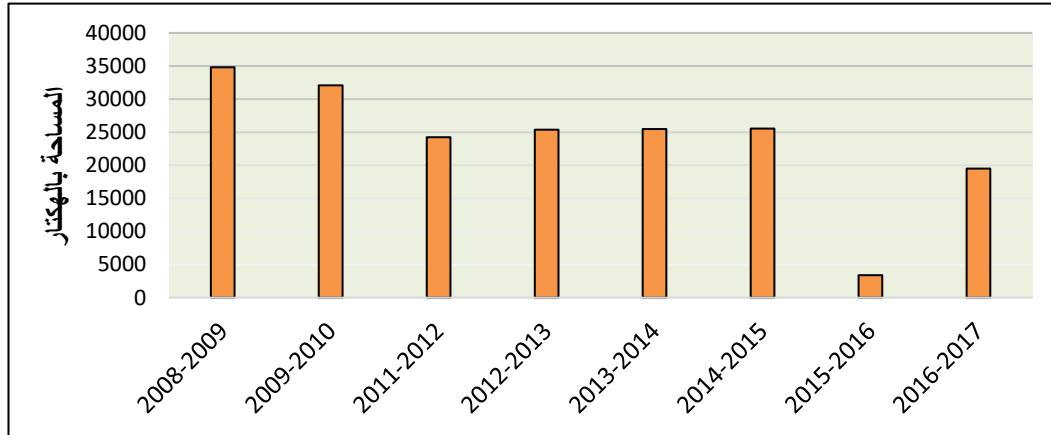
<sup>9</sup> منوغرافية إقليم سطات (2018)، ص 5.

<sup>10</sup> المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء السكنى والسكان 2014.

# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



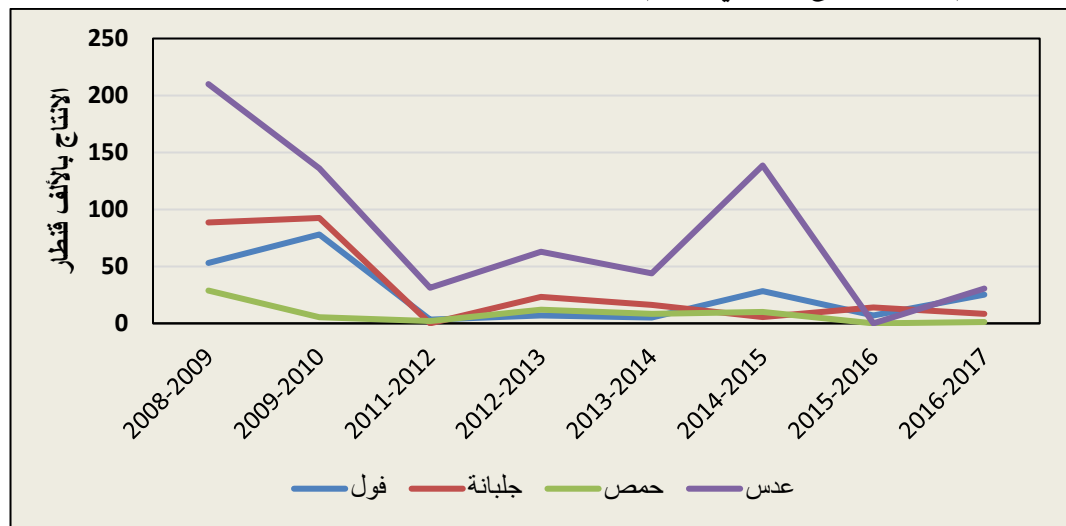
الشكل رقم 4: تطور المساحة المخصصة لزراعة القطن بإقليم سطات ما بين 2008-2016



المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة-سطات

ومن الواضح أن المساحة المخصصة لهذه الزراعة بالإقليم غير مستقرة وتباين سنويا، لكن الاتجاه العام لها هو التقلص. ويرتبط تذبذب هذه المساحة المزروعة بالعامل المناخي بالأساس؛ فعندما تسجل تساقطات مهمة وخاصة الخريفية منها ترتفع المساحة والعكس صحيح، فإذا أخذنا مثلا الموسمين 2015-2014 و 2016-2015 على سبيل المثال (الشكل رقم 6)، سنلاحظ أن الموسم الأول بتسجيله معدل 350 ملم كانت مساحة القطن أكثر من 25 ألف هكتار، بينما أدى تسجيل الموسم 2016-2015 تساقطات محدودة تناهز 221 ملم في تراجع حاد في مساحة القطن إلى 3400 هكتار.

الشكل رقم 5: تطور إنتاج القطن بإقليم سطات (بالألف قنطار)



المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة بإقليم سطات

عموما، إن الارتباط بين كمية التساقطات والمساحة المزروعة بالإقليم لهما تأثير كبير على الإنتاج، فتراجع التساقطات المطرية يقلص المساحة المزروعة فتكون النتيجة بطبيعة الحال تقلص الإنتاج، حيث يتبين أن الإنتاج تراجع هو الآخر بشكل كبير محققا نتائج سلبية (الشكل رقم 5).

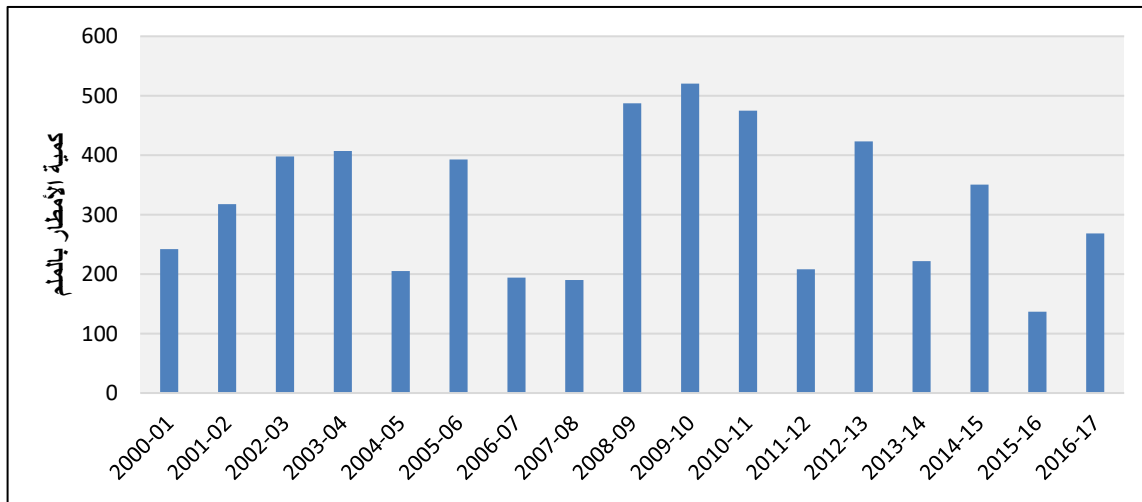
## 6. عوامل تراجع الإنتاج

كشفت مجموعة من اللقاءات والمقابلات مع فلاحين محليين ومهندسين زراعيين بعمالة إقليم سطات، عن تظافر عوامل عامة تؤثر في مجمل القطاع الفلاحي المغربي، وعوامل خاصة مرتبطة بطبيعة قطاع القطن الذي يتطلب مجهودات كبيرة تتجلى في العناية المستمرة، والحاجة إلى يد عاملة ضرورية لتغطية مشكل ضعف المكننة في القطاع، إلى جانب ضعف المردودية والريح المادي مما يؤدي إلى اعتماد الفلاح المحلي على أنماط زراعية أخرى أكثر ربحية.

### 1.6. المناخ عامل رئيسي في تفسير التراجع

يخضع الإنتاج الزراعي بالمغرب بشكل كبير للظروف المناخية، فكلما كانت التساقطات مهمة ومنتظمة وموزعة بشكل مناسب على طول السنة، كلما كان الإنتاج مقبولا، لكن التقلبات المناخية التي تشهدها البلاد من سنة إلى أخرى يبقى تأثيرها أكثر وضوحا بالمجالات البورية التي تعتمد بشكل كلي على التساقطات المطرية. ويعتبر إقليم سطات -كما تمت الإشارة لذلك سلفا- من أكثر المجالات البورية المغربية الخاضعة لرحمة التساقطات المطرية (يستقبل أقل من 300 ملم سنويا)، بسبب ضعف الفرشة الباطنية وغياب شبكة مائية سطحية مهمة، الشيء الذي يجعل غالبية إنتاج الإقليم الزراعي متقلب ومتحكم فيه بصفة رئيسية مناخيا.

الشكل رقم 6: التطور السنوي للأمطار بإقليم سطات خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 2000 و2016



المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة سطات

ولعل الوضع المناخي الذي يعيشه المغرب خلال هذا الموسم الفلاحي الحالي خير دليل على مسألة التقلبات السنوية التي يتصف بها المناخ المغربي؛ فبعد موسم فلاحي (2020-2021) ملائم من حيث كمية التساقطات وانتظامها، وجيد من حيث المحصول الزراعي، جاء هذا الموسم (2021-2022) مغايرا وصعبا، حيث تضررت غالبية المحاصيل الزراعية بإقليم سطات، بسبب تأخر الأمطار سيادة الجفاف في إقليم سطات معروف بضعف فرشته المائية<sup>11</sup>، مما نجم عن ذلك آثار كارثية على وضعية الساكنة القروية، ويكسر نفورا متزايدا تجاه القطاع، يحفز على الهجرة القروية وانتشار رقعة الفقر والهشاشة.

ضمن هذا الإطار يعتبر التأمين عن الجفاف من بين التدخلات الرسمية الهامة التي تحتاج للتعميم والتوعية بأهميته خاصة في المجالات الهشة، وتوفر مؤسسات التأمين (MAMDA)<sup>12</sup> بالمغرب ثلاثة أنماط من التأمين يختار بينها الفلاح المغربي؛ تأمين صغير

<sup>11</sup> معظم لجماعات التابعة لإقليم سطات ضعيفة الفرشة المائية باستثناء بعض الجماعات القليلة مثل سيدي العايدي التي تحتوي على فرشة مهمة لكنها عرفت هي أخرى تراجعا في منسوب مياه آبارها والذي يتراوح عمقها بين 70 و100 متر.

<sup>12</sup> الموقع الإلكتروني للمؤسسة [www.mamda-mcma.ma](http://www.mamda-mcma.ma)

# تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



(6 دراهم للهكتار) يكون تعويضه ضعيف، تأمين متوسط (120 درهم للهكتار) يغطي نصف الخسائر تقريبا، تأمين كبير (200 درهم للهكتار) يعوض كافة المصاريف.

الصورة قم 1: تضرر إنتاج القطني (الفول) بفعل الجفاف بجماعة كدانة



المصدر: صور ملتقطة بتاريخ 15-12-2021 بجماعة كدانة إقليم سطات

## 2.6. العوامل البشرية والتقنية

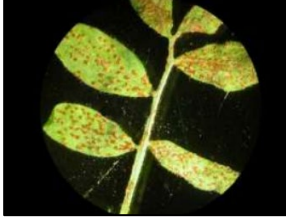
تحتل العوامل البشرية والتقنية مكانة أساسية أيضا في تفسير تراجع زراعة القطني بإقليم سطات، فتخلي الفلاح المحلي عن هذه الزراعة ارتبط بعوامل مركبة ومتراصة، سرعت من وتيرة التراجع ودفعت إلى اعتماد زراعات أخرى أكثر ربحية وأقل جهدا. وللميد العاملة دور أساسي في فهم الوضع، فالنقص الجلي في أعدادها نتيجة الهجرة القروية نحو المدن الصناعية القريبة، رفع من تكاليفها بشكل كبير ليرتفع معها تكلفة الإنتاج، الذي يساهم في غلاته أيضا تزايد كلفة وسائل الإنتاج الأخرى (المحروقات، البذور والأسمدة...) في ظل استقرار ثمن المنتج.

هذا ويعاني القطاع أيضا من ضعف كبير في استعمال المكننة، حيث يستهلك بشكل مفرط اليد العاملة، التي تعتمد على وسائل تقليدية؛ "المنجل" بالأساس في غياب شبه كلي لآلات تقنية مثل البذر الميكانيكي أو الحصاد الميكانيكي. كما أن هذه الزراعة تستلزم عناية مستمرة من خلال إزالة الأعشاب الضارة يدويا، مع مكافحة الأمراض والطفيليات التي تعتبر كذلك من أكبر مشاكل القطاع، حيث تتعدد الأمراض التي تهدد إنتاج القطني بالمغرب.

# تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



الصورة رقم 2: صور لبعض الأمراض التي تصيب القطني بالمغرب



مرض الفيزاريوز



مرض لفحة



مرض الصدى

- المصدر: الغرفة الفلاحية لجهة مكناس-فاس، تقرير حول أيام تحسيسية حول وقاية زراعة القطني (التاريخ غير مدون) يرجع ضعف الإنتاج وتراجعها أيضا إلى صغر المساحات التي تزرع فيها القطني، فما يقرب من نصف المساحة المخصصة لهذه الزراعة تتم في حيازات صغيرة (تشكل 70% من مجموع الاستغاليات)، مما يترتب عنه ضعف إمكانيات التكثيف والتحديث. وإجمالا، تتجلى أبرز مشاكل القطاع في ما يلي:
- سيادة أساليب تقليدية وضعف المكننة.
  - ارتفاع تكاليف المدخلات (اليد العاملة، المحروقات، الأسمدة والبذور) يقابله استقرار في ثمن المنتج.
  - مشكل الأمراض والطفيليات والأعشاب الضارة.
  - عدم ضبط الفلاحين للمسار التقني والتقنيات الحديثة في زراعة القطني.
  - صغر الحيازات الفلاحية يصعب من إمكانيات التكثيف والتحديث.
  - ضعف استعمال البذور المختارة وانتشار استخدام البذور المحلية ضعيفة الإنتاجية، وذات حساسية للأمراض وغير القابلة للحصاد الميكانيكي.
  - مشكل التسويق ومنافسة المنتوجات المستوردة للمنتوج المحلي.
7. انعكاسات تراجع زراعة القطني

يترتب عن تراجع إنتاج القطني في الأراضي الزراعية المغربية وخاصة في المجالات شبه الجافة انعكاسات بيئية، تساهم في الإضرار بالموارد الترابية والحد من خصوبتها وتزايد تدهورها وتأكلها، فالاستغلال الكثيف والنمطي للأرض ينهك التربة ويعرضها مع استمرار نفس الممارسات للتدهور البيولوجي النهائي. "فجل الفلاحين يستعملون الجرار ذو المحراث الأسطواني، الذي يحرق سطحيا، فيخلق للتربة مشاكل عديدة، مثل ضعف التهوية، بالإضافة إلى خلق مستويات مندكة في الأسفل تساعد على تسريع مظاهر التعرية المائية، التي تفقر بدورها المسكة الترابية السطحية"<sup>13</sup> لذلك كان لا بد منذ القدم تبني الدورة الزراعية كوسيلة ناجعة لاستعادة التربة لمكوناتها ومقوماتها.

كان من نتائج هذه الدراسة المحصل عليها انطلاقا من الاستمارة الميدانية، أن أكثر من 70% من الفلاحين بالإقليم أضحوا لا يعتمدون على هذه زراعة القطني ضمن ما يزرعون. وهو ما أكده أيضا المهندس الزراعي بعمالة سطات "أحمد بنتيقة" في إحدى المقابلات التي أجريت معه بقوله أن "غالبية الفلاحين بإقليم سطات لم يعودوا يمثلون لقانون الدورة الزراعية الذي يؤدي إلى خلق

<sup>13</sup> بهاللي المصطفى، 2005، الاستعمال المكثف للموارد الطبيعية وإشكالية التنمية المستدامة بمنطقة معازيز، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 121، ص 181.



# تراجع زراعة القطني بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



نوع من التناوب بين القطني والحبوب." مما لا يساعد على حماية الموارد الترابية، فالدورة الزراعية باعتماد القطني تترك التربة خصبة للزراعة الموالية، وتحميها من الأمراض والأعشاب الضارة، كما تعمل على تحسين مغذياتها وتثبيت الأزوت في التربة، والزيادة في المحصول والتقليل من خطر التآكل ومساعدتها على تثبيتها وتحسين تهويتها والرفع من قدرتها على الاحتفاظ بالماء.<sup>14</sup>

الجدول رقم 2: التركيب الكيميائي للقطني الغذائية

الأصناف	الفاول	العءس	ءمص	ءلبانة
السعرات الحرارية (ءرام)	343	346	358	330
البروءينات (ءرام)	23.4	24.2	20.1	22.20
الءهون (ءرام)	2	1.8	4.5	1.4
الكربوهاءدرات (ءرام)	60.2	60.8	61.5	60.1
السليولوز (ءرام)	7.8	3.1	2.5	2.7
الكالسيوم (ملء)	90	56	149	70
الحءاء (ملء)	3.6	6.1	7	4.3
الثيامين (ملء)	0.4	0.5	0.4	0.72
فيتامين B2 (ملء)	0.29	0.21	0.18	0.15
فيتامين C (ملء)	4	3	5	4

(AYKROYD et DOUGHTY, 1982) المصدر:

إن لزراعة القطني فوائد متعددة حتى من الناحية الغذائية، فهي غنية القيم الغذائية (ءءول رقم 1) التي يحتاجها ءسم الإنسان، ولها منافع صحية غاية في الأهمية، نظرا لكونها تشكل مصءرا للبروءينات والسعرات الحرارية، مما ءتيح لها عبر ءءسيس المستهلك بقميها الرفع من استهلاكها وءءزيز ءضورها في المءبء المءربي.

## 8. مءءلبات إنعاش قءاع القءاني بالمءرب

إن الكءير من الإءراءات التي سنعمل على وءعها في هذه الورقة البءءية باعتبارها مءءلبات مهمة ينتظر من ءهءات الرسمية العمل على بلورءها على أرض الواقع بءاية إنعاش القءاع بالمءرب، هي بمءابة ءوصيات قءيمة ذكرت في مءموعة من ءءارير الرسمية والأكاءيمية وأيضا التي ءاءت على لسان بعض المهءمين بالقءاع من مهندسين وفلاءين وءيرهم، لكنها ظلت مهمة ممن يملكون القءار، وهو ما قد نءءبره أيضا من الأسباب ءير المباشرة لءفاقم أزمة زراعة القءاني بالمءرب.

وإءمالا، ينبءي النظر في الإءراءات ءالفة لإنعاش القءاع:

- ءءزيز برامء البءء لءءوير أصناف ءءيدة من البقوليءات الغذائية ذات المءرءدية العالفة والقاءرة على مءاومة الأمراض والحشرء.

- ءكءيف عملية ءناوب الزراعي بالاعءماء على زراعة البقوليءات بهءف ءءسين ءصوبة ءربة.

- ءوعية الفلاءين بأهمية اسءءءام البءور المءءارة أو البءور الشاءعة المءسنة مع العمل على ءءريب الفنيين والمزارعين الممارسين لهذا المءصول.

<sup>14</sup> Schneider Anne, (2015), Les Légumineuses pour des systèmes et alimentaires durables, Editions Quæ, p 299-300.

# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات

## إقليم سطات نموذجا



- العمل على الرفع من استهلاك المغاربة للبقوليات الغذائية نظرا لمنافعها الصحية، مع الترويج لصناعة تحويلية للبقوليات الغذائية.

- تكثيف أنشطة الإشراف والإرشاد لقطاع البقوليات الغذائية ونشر أوسع للتقنيات الزراعية المساهمة في الرفع من الإنتاج وحمايته مثل: البذر الميكانيكي، الحصاد الميكانيكي، علاجات ضد الأمراض والطفيليات وتقنيات التخزين.

### خاتمة

تلعب زراعة القطن دورا مهما في الدورة الزراعية، فهي تساهم في تهوية الأراضي الزراعية والقضاء على الأمراض، بالإضافة إلى الرفع من مردودية وخصوبة التربة. لكنها تعيش وضعية صعبة على المستوى الوطني عنوانها الكبير "أزمة القطن المغربية"، كان لها تأثير سلبي على الأراضي الزراعية، فبتراجع هذه الزراعة تراجع خصوبة التربة وانخفضت مردوديتها وأصبحت عرضة للإرهاك والتدهور. ولم تستطع الدولة رغم توالي المخططات والتدخلات الحكومية إعادة هذه الزراعة إلى ما كانت عليه من ازدهار وقوة خلال سبعينات القرن الماضي، حيث كان المغرب من أهم مصدري القطن في العالم. وما يفسر هذه الأزمة نوعين من التحديات؛ يتمثل الأول في المخاطر المناخية المتمثلة أساسا في توالي سنوات الجفاف، حيث يوجد ارتباط قوي بين إنتاج القطن والنظام المطري بالمغرب، تجعل الفلاح المغربي لا يملك أمام هذه المخاطر خاصة في المجالات الجافة وشبه الجافة إلا الأمل والانتظار. أما التحدي الثاني فيكمن في ثلة من الصعوبات يمكن عكس التحدي الأول العمل على الحد منها بغية تحقيق نهضة حقيقية لهذا القطاع، إذ يساهم ضعف المكننة وقلة اليد العاملة وارتفاع تكلفتها بشكل رئيسي في تراجع الإنتاج، يضاف إليها مشاكل أخرى من قبيل ضعف التحويل الصناعي، ونقص استخدام البذور المختارة والتهديدات الناتجة عن الأمراض والأعشاب الضارة، إلى جانب مشكل التسويق والمنافسة الخارجية وما يرتبط أيضا بالثقافة الاستهلاكية للمغاربة التي تعتبر أن اللجوء للبقوليات الغذائية غالبا ما تفرضه ضعف القدر الشرائية.

لقد أدى تقهقر زراعة القطن إلى انتقال المغرب من بلد مصدر إلى مستورد، لا يحقق اكتفاءه الذاتي ويهين أمنه الغذائي بالاعتماد على الخارج المضطرب وغير المستقر. فالأزمة الأوكرانية الروسية الحالية وما قد تخلقه من وقف لحاجيات المغرب من الحبوب الآتية من الدولتين،<sup>15</sup> تشكل ناقوس خطر للبلد تلزمه العمل من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع المنتوجات الفلاحية وعدم جعل أمنه الغذائي مرهون للخارج غير المضمون. ولخلق نهضة حقيقية لهذا القطاع تسترجع مكانة المغرب، نحن في حاجة إلى توفر إرادة حقيقية للدولة المغربية، تعمل على تنزيل ما خطط له في التقارير الرسمية على أرض الواقع، وخاصة على مستوى تكثيف استعمال البذور المختارة، والرفع من مجهودات مكننة القطاع وتشجيع التعاونيات والتنظيمات المهنية كوسيلة مهمة لتجاوز مشكل التسويق وكذا للحد من ضعف الإنتاجية والتحديث في الحيازات الصغيرة.

<sup>15</sup> وصلت واردات المغرب من القمح إلى حجم يبلغ 6.5 ملايين طن من القمح خلال الموسم الزراعي 2020-2021. وتعتبر أوكرانيا المورد الرئيسي للقمح في المغرب.



# تراجع زراعة القطن بالمغرب: الأسباب والانعكاسات إقليم سطات نموذجا



البيبليوغرافيا:

- الأسعد محمد (2012) اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الري-زراعية بالبيئات شبه جافة بالمغرب دراسة في الإيكولوجيا الثقافية. منشورات مؤسسة دكالة عبدة للثقافة والتنمية.
- المعهد الوطني للبحث الزراعي (2018)، البحث الزراعي بجهة فاس مكناس: ابتكارات وتقنيات لأجل فلاحية مستدامة ف(تقرير).
- المندوبية السامية للتخطيط، المندوبية الإقليمية لسطات، منوغرافية إقليم سطات للسنوات ما بين 2010-2019.
- المندوبية السامية للتخطيط (2014)، إحصاء السكنى والسكان.
- الغرفة الفلاحية لجهة فاس-مكناس (2018)، تقرير حول أيام تحسيسية حول وقاية زراعة القطن (الأنطراكنوز والهالوك).
- بهلالى المصطفى (2005)، الاستعمال المكثف للموارد الطبيعية وإشكالية التنمية المستدامة بمنطقة معازيز، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- صالح رابحة (1991)، بعض المظاهر المورفولوجية في منطقة الشاوية، تنمية الأنظمة الريفية للشاوية وقضايا منهجية حول المجال الريفي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك الدار البيضاء.
- Anne Schneider, (2015), Les Légumineuses pour des systèmes et alimentaires durables, Editions Quæ, p 299-300
- Agriculture en Chiffres, (2018), Ministère de l'Agriculture, de la Pêche Maritime, du Développement Rural et des Eaux et Forêts.
- Aykroyd et Doughty, (1982), Legumes in human nutrition. Food and Agriculture Organization of the United Nations, FAO Food Nutr.
- Hassan El Baghati, (1995), La production des légumineuses alimentaires au Maroc, [Revue Al Awamia, 89, INRA.](#)
- Monographie Agricole De La Province De Settat, (2013), Direction régionale de l'agriculture de chaouia ouardigha.
- Monographie Agricole De La Province De Settat, (2017), haut-commissariat au plan, direction régionale de Casablanca Settat.
- Monographie Agricole De La Région Casablanca-Settat, (2018), Direction régionale de l'agriculture de région Casablanca Settat.
- Rachid Harbouze. Et d'autres, (2019), Rapport de synthèse sur l'agriculture au Maroc, HAL open science.